



كلمة التحرير

الحرية ثرة لذينة ولكنها عسيرة المضم، ولذلك نرى الجميع يرفعونها شعاراً ويضعونها هدفاً ويقسمون أنهم سيلتزمون بها إذا مُكِّن لهم في الأرض. لافتة جذابة ترفعها السلطة السياسية وتلوح بها المعارضة وتنادي بها أيضاً المؤسسات والجامعات ومراكز البحث، وقلما تجد فرداً أو مجموعة أو هيئة تنكر علينا حق الاختلاف وتدعى العصمة في الرأي. الكل يردد مأثراً عظيماً من مآثر علمائنا الأفاضل "منهي صواب يحتمل الخطأ، ومنذهب غيري خطأ يحتمل الصواب". تلك علامات عنوية طعمها وحلوة مذاقها، ولكن الناظر لا يحتاج إلى كبير عناء ليلاحظ صعوبة استساغها وعسر هضمها. فلا تكاد تستقر في الوعي حتى تُلفظ، والغريب أن الذين يلفظونها، يلقطونها دفاعاً عنها وعن قداستها تحت شعار "لا حرية لأعداء الحرية"، و"لا حرية إلا في إطار ما يسمح به القانون"، و"لا حرية إلا باحترام اجتهاد من سبق".

وفجأة تنقلب القاعدة الذهبية المأثورة وتصبح "منهي صواب لا يحتمل الخطأ" ومذهب غيري خطأ لا يحتمل الصواب". هل يمكن للمفكر أن يكون مبدعاً، بل هل يمكن أن يكون مفكراً أصلاً وهو لا يفكر إلا وهو مستحضر لضرورات التحصين السليبي؟ ضرورة ألا يخالف من تقدم من المجهدين حتى لا ينتهم في دينه وضرورة ألا يفهم من كلامه أنه معارض لاختيارات السلطة الحاكمة وضرورة تأمين رزق عياله. هل يمكن لهذا النوع من المفكرين أن يحترموا أنفسهم ويحترموا قراءهم. خلاصة الكلام أنه من حقنا أن نفكر بحرية تامة ولكن قبل أن نتكلّم فإذا قررنا أن نتكلّم أو أن نكتب فعلينا مراعاة هذه الضرورات الثلاث.

لا يهم كثيراً إن كانت هذه الأمور المستحضرية حقيقة - وغالب الظن أنها كذلك - أو وهمية، المهم في الأمر أنها متمكنة من وعي المفكرين في عالمنا الإسلامي، تلك هي مأساة المفكر عندنا، لا يؤمن على نفسه إذا تكلم، ولا يؤمن على نفسه إذا صمت، أليس الصمت لغة؟ أليس الصمت موقفاً؟ ولعله أخطر من الكلام لأن تأويل الكلام يبقى في النهاية خاضعاً لجملة من الاعتبارات ولكن تأويل الصمت ليس له مقاييس محددة.

في كل مرة أراجع فيها قصة إبليس في القرآن الكريم، أغبطه على نعمة الحرية الكاملة التي كان يتمتع بها، لقد استطاع أن يوحد بين تفكيره وقوله، والله سبحانه وتعالى لو شاء لأعدمه من الوجود، ولكنه عز شأنه أخرجه من الجنة ولم يكن ذلك فقط عقاباً، ولكن أراد - فيما نظن وليس كل الظن إنماً - أن يوفر لإبليس شروط حريته، لأنه لا يمكن أن يظل في زمرة الملائكة وهم الذين يفعلون ما يؤمرون. كان إبليس متحرراً من كل الكوابح، لا شك أنه سيلقي جزاء ما فعل، ولكن كان حرياً ولم يسلب حق الرد وحق المراجعة.

هذه الكوابح التي يستحضرها المفكر مرة باسم الدين ومرة باسم القانون ومرة باسم حماية النفس تقتل الفكر وتمنع الإبداع. ليس معنى ذلك أنتا ندعوا إلى التفكير بدون ضوابط وبدون منطق، ولكن الضوابط الوحيدة المشروعة هي الضوابط التي حددتها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم صوناً للعقيدة وحفظاً للأحكام.

حضرتني هذه المعاني وأنا أستعرض ما نشرته التجديد في أعدادها الشمانية الماضية، وتساءلت أين الجديد فيما تنشره التجديد؟ لا شك أن الاسم في النهاية مجرد علامة وليس شرطاً أن تكون العلامة مطابقة بشكل كامل لحاملها، ولكن هذا الأمر لا يسقط مشروعية السؤال. لعل الجديد في التجديد أنها حاولت قدر المستطاع أن تكون منبراً للفكرة وخلافها حتى لا نقول ونقضها، بوصفه شرطاً أولياً للتجديد، فلا يكون شعار التجديد شعاراً حزبياً يخشى منه المخالف ويخافه، وإنما هو محاولة لتوفير إمكانات الحوار بين وجهات النظر المختلفة بغية تعزيز النظر في المسائل التي تشغله الفكر الإسلامي. هل نجحت التجديد في ذلك؟

القراء هم وحدهم الذين يستطيعون الحكم بموضوعية على هذا الأمر. فقط لا بد من الإشارة إلى أمر نعتقد أنه مهم في الإجابة عن هذا السؤال. قد تبدو المادة المنشورة أحياناً للقارئ وكأنها منسوجة على و蒂رة واحدة، إذا كان الأمر كذلك فليس ذلك خياراً للمجلة لأنها هي أيضاً محكومة بنوعية ما يرد عليها من مقالات للنشر.

أما غياب الجديد فالمشكلة لها علاقة بنوعية المفكر في عالمنا الإسلامي، المفكر الأسير، الذي يزحف على رمال متراكمة، خائف متربص، تتقاذفه استراتيجيات متناقضة: عندما يكتب من مكان ما يستحضر في ذات الوقت وقع كلامه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي. من يدري؟ قد تضطره ظروف الحياة إلى الهجرة إليها طلباً للرزق أو طلباً للأمن أو طلباً للاثنين معاً، فيقوم بعملية إخراج لأفكاره مراعيًّا في

ذلك قاعدة "أطع أباك ولا تعصي أمك"، فيأتي تفكيره محكمًا بهذه الاستراتيجية، لا يغضب أحدا ولكن في الغالب لا ينفع أحدا.

تطول في البحث المقدمات التاريخية ويُحشد فيها كم هائل من المعلومات التفصيلية، فتزروي شخصية الكاتب في ركن من الدراسة لا يكاد يشعر القارئ بوجوده لا من خلال التحليل الذي غالباً ما يحال إلى أسماء تاريخية لامعة، ولا من خلال النتائج التي تأتي لمؤكدة ما استقرت عليه الأفهام، وإذا حصل أن خالجه شك – وهو نادر الواقع - لا يفصح عنه، بل يؤجل الحديث عنه إلى وقت لاحق. يتتجنب تحديده خوفاً من تقلبات الزمن. فـ "الفتوى" هنا لا تتغير بتغيير الزمان والمكان احتراماً لضرورات التنزيل في الواقع أو حرصاً على مراعاة مقاصد المكلّف وإنما تتغير بتغيير مقاصد المكلّف (الكاتب).

استحضار هذه الاستراتيجيات المتناقضة تؤدي في النهاية إلى القضاء على شخصية المفكر وتؤدي تبعاً لذلك إلى قتل مملكة الإبداع. يصبح بعد ذلك من أحلام اليقظة أن نتظر الجديد في التجديد. هل معنى ذلك أن نتوقف عن التفكير؟ أن نتوقف عن الكتابة؟ لا، أبداً، ولكن علينا أن نسترد حريتنا المسروبة ونتحرر من سطوة "العلف". أن نستحضر أن الكلمة مسؤولية، وأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وأن أفكار البشر مهما بلغت درجة الاتكمال فهي قابلة للنقد والمراجعة. ويجب أن تذكر دائماً أن النظرية الصحيحة هي النظرية القابلة للدحض لأنها تحمل قابلية التجدد.

سنستمر في تأكيد نسبية الحقيقة البشرية وتأكيد ضرورة حق الرد وحق الاختلاف، ذلك ما حاولنا أن نتمثله في الأعداد السابقة وفي هذا العدد، أملأنا في تأسيس قاعدة صلبة للتجدد.

افتح هذا العدد الدكتور فضيل دليو يبحث حول منهجية البحث الاجتماعي ركز

فيها على ثنائية الاستنباط والاستقراء مبيناً أن عملية البحث في العلوم الإنسانية عملية دائيرية أصلها افتراضي ولذلك فإنه من الضروري أن يتبعه الباحث إلى خطط المقدمات الإيديولوجية وأثرها السليبي في توجيهه عملية البحث لغبة الظن فيها. أما الدكتور صالح قادر الزنكي فقد عاد من جديد إلى إشكالية الحكم بين النص والعلة مستعرضاً ومناقشاً آراء كل من الفريقين في هذا الموضوع معتبراً أن الخلاف بين الأصوليين خلاف شكلي وأن الأصل هو الأخذ بأحد هما أو بالاثنين معاً بحسب ما تقتضيه طبيعة النص وضرورة الإثبات.

أما الدكتور عبد الغني بن يعقوب فقد توقف عند أشكال الاحتلال وأنواعه التي عرفتها منطقة أرخبيل الملايو، تلك المرحلة التي غطت ما لا يقل عن خمسة قرون كانت بدايتها مع سقوط الميناء التجاري لمدينة ملاقا أمام القوات البرتغالية الغازية. أظهرت هذه الدراسة أشكال المقاومة التي اتبعها المسلمون في شرق آسيا لمقاومة خطوة تسييحيها والقضاء على عقيدة التوحيد. كشفت هذه الحنة التي تعرضها لها المسلمون قدرة الإسلام على الصمود والاستمرار وتحقيق معادلة الثبات والتجاوز.

من ناحية تناول الدكتور الفاتح عبد السلام موضوع التكامل الاقتصادي العربي، كاشفاً عن العوائق التي عطلت نموه ومبيناً الأسباب الداخلية والخارجية التي أدت في النهاية إلى حالة ما قبل النظام العربي.

أما الأستاذ روسي بن سامة فقد تبع المراحل التي عرفها الأدب الإسلامي في ماليزيا، بدءاً بصياغة المفهوم وجدل المؤيدين والمعارضين، ومروراً بمحاولات الإبداع التي عرفها هذا النوع الوليد من الأدب واتهاء بتوضيح الحالات التي غطتها هذه المحاولات الأدبية.

وفي بحث حول الأبعاد الحضارية والضرورات الحاضرة في تعليم اللغة العربية لأبناء العالم الإسلامي، بين الأستاذ إبراهيم الفارسي خصوصيات اللغة العربية وقدرتها على

إثبات وجودها أمام اللغات الأخرى، فضلاً عن أن تعليمها ضرورة حيوية لاستمرار الثقافة الإسلامية وصيانة الدين الإسلامي.

اشتمل باب نقد وآراء على بحثين مهمين أحدهما للأستاذ احسن لحسانة بعنوان: علاقة السنة بالقرآن الكريم عند الإمام الشاطبي، والآخر للأستاذ نجم الدين الزنكي بعنوان فرقة العنانية اليهود. ركز البحث الأول على بيان معنى السنة ومفهومها عند الإمام الشافعى الذى أعطى للسنة مفهوماً واسعاً يشمل سنة الصحابة، ولكنه على الرغم من هذا التوسيع تظل السنة مبینةً ومفصلةً لضمون القرآن الكريم. فهي بين مفصلةٍ بحمله، ومبینةٍ لمشكله، وباستطاعةٍ لمحضصره، ولهذا السبب جاءت رتبتها متاخرة عن رتبة القرآن الكريم. وتعرض البحث أيضاً إلى آراء العلماء الذين خالفوا الشاطبي في هذا الرأي، ولكنه خلص إلى أن الخلاف خلاف لفظي، فالذى يسميه الجمهور سنة شرعية مستقلة بالحكم يجعله الشاطبي مما يندرج تحت القرآن الكريم. أما البحث الثاني فقد قدم تعريفاً وتحليلاً لعقائد فرقة العنانية اليهود مركزاً على المنهج الذي اتخذته هذه الفرقة سبيلاً فتحت بذلك باب الاجتهاد والرأي واسعاً أمام معتقداتها والاختذلت الإجماع والقياس مصدرين للتشريع تأثراً - على ما يبدو - بالفقه الإسلامي.

وفي العدد أيضاً عدد من المراجعات دخل أصحابها في حوار بناء مع كتابات صدرت مؤخراً، ونأمل أن تشير هذه المراجعات ردوداً تعزز مبدأ الحوار والتفاعل.

تضمن العدد أيضاً ملخصات لرسائل جامعية نوقشت في كلية معارف الولي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية بماليزيا، كما تضمن تقريراً عن مؤتمر اللغة العربية الذي عقد في جمهورية تشاد.

تلك هي مادة العدد التاسع من مجلة التجديد، نأمل أن يجد القارئ فيها ما يشجعه على التواصل معها.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَهُوَ الْهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.